رأي القدس

حكومة الكفاءات الفلسطينية ومحاذيرها

■ تشهد المناطق الفلسطينية المحتلة هذه الايام ظروفا امنية ومعيشية صعبة للغاية، فالقوات الاسرائيلية تواصل هجماتها الصاروخية التي تستهدف النشطاء والبيوت الآمنة، وحالة التوتر تتفاقم يوما بعد يوم بين الفصيلين الرئيسيين في الساحة وهما حركتا «فتح» و«حماس»، بينما يستمر الحصار التجويعي الذي تفرضه السلطات الاسرائيلية على الاقتصاد والاموال من خلال اغلاق المعابر ومنع وصول اي مساعدات مالية لحكومة السلطة.

وينتظر الجميع في الاراضي المحتلة الخطوة المقبلة للسيد محمود عباس رئيس السلطة، التي من المتوقع ان يكشف عن ملامحها في الايام القليلة المقبلة، ولكن هناك مؤشرات تؤكد نواياه في حل حكومة حركة «حماس» الحالية، وتشكيل حكومة جديدة من التكنوقراط تتولى زمام الامور لفترة مؤقتة، وتلبي المطالب الامريكية والاسرائيلية وبما يؤدي الى رفع الحصار الاقتصادي والمالي الحالي.

فيوم امس دعت لجنة المتابعة العليا الاطراف كافة الى تشكيل حكومة فلسطينية انتقالية من الكفاءات المستقلة، ومنحها شبكة امان من المجلس التشريعي لمدة عام في محاولة لكسر الحصار، على ان تتولى منظمة التحرير الفلسطينية متابعة الملف السياسي من خلال تفعيل اللجنة العليا التي اتفق عليها في حوار القاهرة التي يرأسها السيد عباس نفسه، وتتكون من رئيس المجلس الوطني واعضاء اللجنة التنفيذية في المنظمة، بالاضافة الى تطوير المنظمة وانتخاب مجلس وطني جديد خلال الفترة الانتقالية على قاعدة التمثيل النسبي.

لجنة المتابعة هذه ليست بعيدة عن مكتب رئيس السلطة الوطنية، ولا تضم ايا من ممثلي حركات المقاومة الرئيسية على الارض مثل «حماس» و«الجهاد الاسلامي» و«لجان المقاومة الشعبية» و«كتائب شهداء الاقصى»، و«جماعة ابو الريش»، ولهذا فهي تعكس افكار ومخططات هذا المكتب ورئيسه وتمهد لخطواته المقبلة.

حركة «حماس» التنظيم الفائز باكبر عدد من المقاعد في الانتخابات التشريعية الاخيرة رفضت فكرة حكومة الكفاءات هذه، وقال السيد خالد مشعل رئيس مكتبها السياسي ان المناطق المحتلة ليست السويد او فرنسا حتى تتولى امورها حكومة من التكنوقراط.

ويبدو ان رفض حركة «حماس» لهذه الحكومة دفع السيد منيب المصري احد ابرز المرشحين لرئاستها الى مراجعة موقفه، والايعاز لبعض وسائل الاعلام بنفي وجود اي رغبة لديه لتولي هذه المهمة الصعبة متذرعا بتقدمه في السن، ومعربا عن امله في تولي وجوه شابة هذه المسؤولية.

فحركة «حماس» تستطيع شل اي حكومة تكنوقراط من خلال حجب الثقة عنها في المجلس التشريعي، الذي تملك غالبية مقاعده، كما انها لن تقف مكتوفة الايدي امام اي تحرك من السيد عباس لحل حكومتها، فهي تعتبر ان خطوة كهذه غير دستورية، وتؤكد ان النظام الاساسي للحكم لا يعطي رئيس السلطة صلاحية حل حكومة منتخبة.

السيد عباس يعيش مأزقا صعبا بكل المقاييس جعل هامش مناورته محدودا للغاية، ولذلك ربما لا يكون مستبعدا لجوؤه مرة اخرى الى فكرة الاستفتاء التي هدد بها حركة «حماس» اثناء انعقاد دورات الحوار الفلسطيني ـ الفلسطيني في غزة ورام الله. وحتى هذه الخطوة ربما لا تكون مأمونة العواقب، بل على العكس من ذلك تماما، اي انها قد تؤدي الى انفجار الاوضاع الامنية بطريقة غير متوقعة، لانه استفتاء في غير زمانه ومكانه، وسيهدف الى استغلال حالة الجوع في اوساط الشعب الفلسطيني نتيجة للحصار للوصول الى نتائج تصب في مصلحة الشروط الامريكية والاسرائيلية.

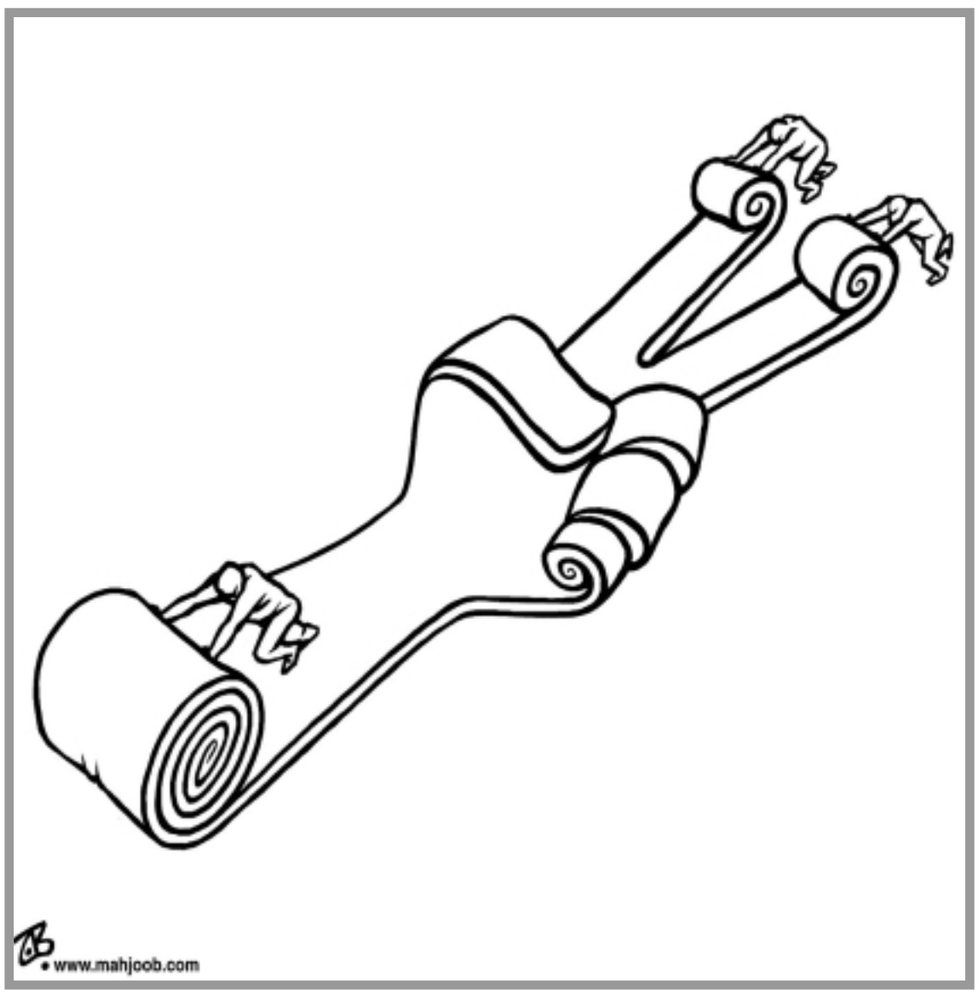

«هيئة البيعة» السعودية: هل ترد للملك باليسار ما منحه الملك باليمين؟

صبحي حديدي *

■ من الانصاف القول ان اصدار «نظام هيئة البيعة» الجديد في المملكة العربية السعودية، خصوصاً تعديل الفقرة ج من المادة الخامسة لنظام الحكم (والتي تسحب من الملك صلاحية تسمية ولي العهد، وتسنده الى هيئة البيعة) احدى فقرات النظام الاساسي للحكم في السعودية، يُعد خطوة اصلاحية حاسمة من طراز غير مسبوق في المملكة. غير أنها خطوة ناقصة، لأن الملك هو الذي يقترح على أعضاء الهيئة اسم أو أسماء المرشحين لولاية العهد، والهيئة تتألف من أبناء الملك عبد العزيز وأحد أنجال المتوفين من أبنائه، الأمر الذي يعني ابقاء القرار منحصراً في دائرة أبناء سعود، حتى اذا كان النظام الجديد يمنح الهيئة حق رفض اقتراحات الملك واختيار مرشح آخر.

ثمة، مع ذلك، هامش مناورة مزدوج النتيجة، لأنه قد يتيح المزيد من الاتفاق بين الأمراء، أو المزيد من الشقاق والخروج على ارادة الملك، وهذه حال لم تكن متوفرة في الماضي، أو كانت تتم في الخفاء وخلف جدران القصور السميكة الكاتمة للأسرار. هذا، بالطبع، اذا وضعنا جانباً حقيقة أن مرض الملك قد يعوقه عن القرار عملياً، رغم بقائه على رأس الحكم وفي سدة القرار، كما حدث مع الملك فهد طيلة العقد الأخير من حياته، حين أصيب بجلطة في الدماغ وعهد بتصريف شؤون المملكة الى أخيه الأمير عبد الله، ولي العهد آنذاك.

هنالك، الى هذا، حقيقة عتيقة راسخة تنتقص من الطبيعة الاصلاحية للخطوة الأخيرة، وهي أن التوريث والخلافة في المملكة ليست دائماً بالسلاسة التي تبدو عليها في الظاهر من جهة، وهي من جهة ثانية نادراً ما تأخذ صيغة سيرورة سياسية قائمة على توازنات القوة ومحاصصة النفوذ وحدها، لأنها أيضاً مسألة اجتماعية تضرب بجذورها عميقاً في هياكل وتقاليد وأنساق المجتمع السعودي. في عبارة أخرى، ليس من الواضح حتى اليوم ما اذا كانت فلسفة الخلافة في المملكة قد ضربت صفحاً عن معظم أو حتى بعض تلك القواعد الصارمة، البسيطة تماماً مع ذلك، التي أرساها ابن سعود في عام 1933، حين اندلعت نزاعات الأبناء وقرر الملك المؤسس توريث سعود وفيصل في آن معاً، لكي يقرر ضمناً أن مبدأ الشراكة المعلنة هو القاعدة الناظمة للولاء العائلي.

هذا هو بعض السبب في أن مبايعة الأمير عبد الله، صيف السنة الماضية، بدت سلسة ويسيرة وخالية من أية عواقب دراماتيكية آنية. صحيح أنه ليس عضواً في نادي «السديريين السبعة»، وهو أخ غير شقيق لهم، والملك الراحل نفسه كان في العام 1992 قد انفرد بتثبيت مبدأ مبايعة العضو «الأقدر» و«الأرشد» بين أبناء عبد العزيز (مما أعطى سقيفة المبايعة صلاحيات الطعن في قدرة أو رشد أي عضو مرشح بحكم السن، أو أقدمية التسلسل في الخلافة، أو حتى ولاية العهد بموجب ارادات سابقة واضحة). ولكن من الصحيح أيضاً أن الملك المتوج اليوم كان النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء بقرار من الملك خالد، وكان ولي العهد، والنائب الأول، وقائد الحرس الوطني (75 ألف مقاتل، بتدريب أمريكي رفيع)، وأبرز المتحالفين مع عشائر شمر التي تمتد أفخاذها حتى مثلث الحدود التركية ـ السورية ـ العراقية.

ليس واضحاً، تالياً واستطراداً، ما اذا كانت قواعد الخلافة السابقة، مثل هذه اللاحقة، قادرة على اسقاط المبدأ الآخر في تحكيم الوراثة، أي اقامة ميزان الذهب بين القبيلة والفتوى والدولة، وبين السلطة القبلية وسلطة الافتاء والسلطة المركزية، أياً كان المحتوى الفعلي لهذه الأخيرة. ذلك لأن جزيرة العرب لم تعرف، تاريخياً، مبدأ الحدود التي ترسم شكلاً جغرافياً للدولة ـ الأمة، وأغلب أراضيها صحارى شاسعة قطنتها قبائل بدوية تمثلت السمة الأساسية لحياتها في التنقل الحر طلباً للكلأ والماء والغزو في «ديرة» قبيلة أخرى. وبذلك لم يُطرح مفهوما «الوطن» أو «المواطنة» بمعانيهما السياسية والاجتماعية والثقافية، وكان الانتماء الى هذا الكيان أو ذاك يتحدد من خلال علاقة شيوخ العشائر برأس ذلك الكيان أو بشيخ القبيلة المهيمنة. ولأن تلك العلاقات ظلت متحركة وغير ثابتة وبقيت عرضة للتبدل السريع والنوعي، فان انخراط أبناء القبائل ضمن حدود ترسم كيانات سياسية أو تفصل بينها، بدا صعباً على الدوام.

ولقد عرف هذا التقليد التاريخي ـ الاجتماعي منعطفات مركزية حين تعاظم التوتر بين العشائر ومراكز العمران والولايات العربية المأهولة (الحجاز، العراق، سورية)، وحين هاجرت عشائر عنزة من نجد الى الحجاز، أو الى شرق الجزيرة العربية لكي يشكل بعضها ما يعرف اليوم بدولتَي البحرين والكويت، وحين بلغ التناقض أشده في العقد الأول من القرن بين مفهوم السير بيرسي كوكس والسلطة الكولونيالية البريطانية للحدود بمعانيها الجيو ـ سياسية، ومفهوم ابن سعود لحدود «الدولة ـ القبيلة» أو «الدولة ـ الديرة»، وحين اضطر مؤسس المملكة الى تطبيق مبدأ الزعامة المركزية، فانه في الآن ذاته كان يستجيب صاغراً لواحد من أخطر مقتضياتها: الالغاء التدريجي لامتيازات وأعراف وأنماط عيش الدولة ـ القبيلة حيث «الديرة» عالم صغير متماسك متلاحم مهما امتد في الفيافي والقفار.

وليس من المبالغة التفكير في أن المعارضة الاسلامية المسلحة التي يواجهها آل سعود اليوم، هي بمثابة تطبيقات معاصرة لتلك التي تعين على ابن سعود أن يواجهها في مطالع القرن الماضي، وأن يقاتلها قتالاً لم يكن أقل ضراوة مما تفعل السلطة السعودية اليوم. تلك كانت مفارز فيصل الدويش وسلطان بن بجاد وضيدان بن حثلين، وهؤلاء كانوا كبار زعماء حركة «الاخوان» الوهابية المتشددة، والميليشيات الدينية المسلحة التي شيدت العمود الثاني في السلطة السعودية. انهم، حسب أمين الريحاني، «رُسُل الهول ورسل الموت في كل مكان»؛ وأما عند أحمد عبد الغفور العطار، في كتابه «صقر الجزيرة»، فهم: «كانوا جامدين يعيشون في ما يشبه الجب لا يبرحونه. وبلغوا من العنف والجهل أن حرموا ما أحله الله، وأفتوا بغير ما أنزل، وكفروا المسلمين، وأعلنوا الحرب على كل ما أنتجته الحضارة، وأنكروا على المصلحين اصلاحهم». وأما الشاعر عبد العزيز بن العثيمين فقد كتب، بعد انقلاب ابن سعود على «الاخوان» وتنكيله بهم: «يا غلاة الاخوان ضيقتم الدين ورغبتم عن منهج الحنفاء/ قد عرفناكم جنود مليك، فمتى صرتم جنود السماء؟»...

والأرجح، بذلك، أن معركة ابن سعود مع العشائر لم تنته حتى يومنا، أو هذا على الأقل ما يستنتجه أندرو هيسَ في دراسة موسعة نشرتها «مجلة الشؤون الدولية» مؤخراً، ولم يتمكن من بسط السلطة المركزية على العشائر و«رسل الموت» والدعاة الوهابيين المتناثرين هنا وهناك في أرجاء المملكة الا بعد العام 1930. واذا كانت أسلحة الحديد والنار قد نجحت في تطويعهم عسكرياً، فان «أصول الدين» واصلت بقاءها في نفوسهم، واتخذت شكل مؤسسة عقائدية مستقلة جبارة، تتبادل التأثير والتأثر والشد والجذب مع بيروقراطية الدولة وشروط العصر وعواصف التحديث التي كانت تهب بين الحين والآخر لأسباب موضوعية صرفة.

وهكذا فان صيغة التعاقد بين المؤسسة السياسية والمؤسسة الدينية فرضت على النظام اعتماد مزيج من سياسات القوة بما تتضمنه من اضعاف للامتيازات القبلية، وتوطيد للقرابات والولاءات، ودعم للأسس الادارية وللبيروقراطية الضرورية الوليدة، واتمام للزواج الناجح بينها وبين شركات النفط العملاقة، واستيراد التكنولوجيا، والمضي قدماً في التحالفات الاقليمية والدولية، وتطبيق استراتيجية أمنية انعزالية وجامدة ووقائية... في آن معاً.

وكانت أربعة عقود من التصارع بين السلطة القبلية وسلطة الفتوى والسلطة المركزية قد أقنعت ابن سعود باستحالة اغفال أي منها لصالح أخرى، فأوصى أبناءه بادامة التوازن الدقيق، وبذل آخر ما تبقى في جعبته من حنكة سياسية في ضمان خط تعاقبي آمن في وراثة العرش. ولكن تحول المملكة الى منتج أساسي للنفط في عهد الملك سعود، وتجاوز سقف المليون برميل يومياً، أسند للعائدات النفطية وظيفة سوسيولوجية جديدة وخطيرة هي تدمير هياكل التوازن التي شيدها ابن سعود، خصوصاً ذلك التشارك القلق بين القِيَم القبلية وأصول الدين ونظام الادارة. والخبرة التي راكمتها الأسرة الحاكمة في تدبير الشأن القبلي لم تستطع تقديم اجابات مناسبة على أسئلة وتحديات العمران والتحديث (التي أضعفت الأواصر القبلية بالضرورة)، وتوزيع عائدات النفط (التي ضاعفت ايقاع الولاءات الشخصية وعلاقات الاستزلام)، والظواهر السياسية الاقليمية والدولية في ظل المد القومي العربي واشتداد الحرب الباردة.

وربما كان العجز عن تقديم تلك الاجابات هو العامل الأكبر وراء قرار الأسرة الحاكمة بتنحية سعود وتنصيب فيصل، وذلك بغرض مواجهة تلك التحديات دون المساومة على مبادئ التركيبة السعودية، أي سلطة آل سعود، واستمرار الشراكة مع سلطة الفتوى والقراءة الوهابية للاسلام عموماً، فضلاً عن توطيد علاقات القرابة والولاء الشخصي. وكان عهد فيصل هو الطور الذهبي لدخول المملكة في النادي السياسي والاقتصادي الدولي، وفي البناء الحثيث لما عُرف فيما بعد بـ«الحقبة السعودية» في السياسة العربية. أما داخلياً فقد انطوى على مزيد من المقاربة المحافظة للشؤون الثقافية والدينية، وعلى حصر مهام التحديث في السلطة المركزة أكثر من ذي قبل، وعلى تخصيص قدر أكبر من العائدات النفطية لاحياء التراث القبلي من جهة، واخضاع تنميته وتطويره لمؤسسات سلطوية صرفة من جهة ثانية.

ولكن المعادلة كانت مسقوفة، أو محتومة بمعنى ما، ولم يكن في وسع المملكة أن تواصل انشطارها العميق والمؤلم بين حاجات المجتمع والحياة، وبين تركة الزواج القسري الذي جمع المؤسسة والقبيلة. من جانب آخر كانت سيرورة ارتهان المملكة للسياسة الأمريكية (من الانفاق على الانتخابات البلدية الايطالية لكي لا ينجح الشيوعيون، الى تحالف حفر الباطن واستقدام القوات الأمريكية، وصولاً الى غزو العراق...) تخلق وقائعها وظواهرها الرديفة أو المكملة التي لم تكن دائماً تأتي برياح تلائم سفائن آل سعود: من استيلاد «الأفغان العرب»، الى الـ 15 سعودياً من أصل 19 انتحارياً نفذوا هجمات 11/9، وصولاً الى المعركة الراهنة ضد ارهاب «الفئة الضالة» حسب التعبير الرسمي، لكي لا نتحدث عن اهتزاز شرعية آل سعود الدينية والسياسية، وتفاقم الازمات الاقتصادية، ومشكلات البطالة وانخفاض الدخل الفردي، ارتفاع والمديونية العامة، وعشرات المشكلات الاجتماعية والسياسية الأخرى.

وتلك، غني عن القول، هي ذاتها السيرورات التي استولدت ما يُسمى بـ«القوى الليبرالية» أو «التكنوقراط» أو دعاة الاصلاح في صفوف المثقفين خصوصاً، وتوجب أن تشكل قطباً موازياً موضوعياً للقطب العقائدي الوهابي المشيخي، الذي التحم الآن بهيكليته القبلية وبات الحامل الرسمي للقِيَم القبلية والأعراف والتراث والماضي التليد والدين... ههنا التركة الثقيلة المعقدة التي يجابهها آل سعود اليوم، والتي لا تدفعهم الى التكاتف الأقصى حول الملك الجديد، في أي وكل ملف يخص أمن الحكم واستمراره فحسب، بل تزجهم ـ على نحو لا مثيل له منذ تأسيس المملكة ـ في صراع شرس من أجل البقاء.

هذا مشهد يقوم على وضع عالق ومعضلة مفتوحة ومأزق مستديم، وعلاجه بحاجة ماسة الى ما هو أكثر جذرية من محض «هيئة بيعة» ترد للملك باليسار ما منحه الملك باليمين!

* كاتب وباحث سوري يقيم في باريس

حارث الضاري.. هز الشعوبيين والصفويين وأبكاهم

هارون محمد *

■ فزع الشعوبيون والطائفيون والانفصاليون في العراق من زيارة الشيخ الدكتور حارث الضاري الى المملكة العربية السعودية، على رأس وفد من هيئة علماء المسلمين بدعوة خاصة من الملك عبد الله بن عبدالعزيز، وحملوها أكثر مما تحتمل، واستبقوا نتائجها بكثير من التلفيق، رغم انها أول زيارة يقوم بها للمملكة حفيد الشيخ الثائر المغفور له ضاري المحمود، الذي قيلت فيه الاهزوجة الشعبية (هز لندن ضاري وبجاها) التي ما زال العراقيون يحفظونها جيلاً بعد جيل عن ظهر قلب، تحية لوقفاته الوطنية في مواجهة الاحتلال الانكليزي في عشرينات القرن الماضي، ووفاء لتضحياته المجيدة، واستشهاده وهو في سجن المحتل يقارع القيود والقضبان شامخ الهامة بهي الطلعة.

ولعل أوجع انعكاس لهذه الزيارة، ما صرح به ذلك القزم الايراني الاصل والتركيب والولاء، عندما حاول في لقاء تلفزيوني أهوج، أن يربط بين الشيخ حارث وما أسماه بالارهابيين، والتسمية الاخيرة اختلقها الصفويون ويعنون بها السنة العرب والبعثيين، مع أن وقائع الأحداث الميدانية تؤكد يومياً ان الارهابيين الحقيقيين هم أولئك الذين وظفتهم ايران البهلوي والخميني وشكلت لهم مجالس وأحزابا وميليشيات ودربتهم وسلحتهم ومولتهم ودفعتهم لقتل العراقيين الشرفاء والاحرار والمبدعين والعلماء والخبراء والذين ذادوا عن سيادة الوطن من ضباط وطيارين ومهندسي تصنيع وكفاءات لامعة، بالتعاون والتنسيق مع (الموساد) الصهيوني الذي باتت له مكاتب ومقرات ووكلاء ووسطاء في المنطقة الخضراء ببغداد وأربيل والكفل والقرية الاثارية في بابل ومدينتي العزير والكفل التابعتين لمحافظتي ميسان والقادسية، والاخيرة أبدلوا اسمها وشطبوه، لان الاسم يثير الهلع في قلوب العجم والفرس، وللعلم فان المحافظات الثلاث (بابل وميسان والقادسية) مدرجة ضمن الاقليم الشيعي الذي يصر على تأسيسه واعلانه عبدالعزيز طباطبائي الحكيم، والمسألة واضحة لا تحتاج الى تفسير! ورغم ان أقطاب التنظيمات والميليشيات الشيعية، يقضون أغلب أيامهم في طهران وقم واصفهان حيث يملكون جنسيات وجوازات سفر ايرانية، واسواقاً تجارية ومدارس ومراكز طائفية، ويتناسون عن عمد ازدواجيتهم في الانتماء والولاء، بل ان كثيرا منهم يسافرون الى ايران ويعودون منها بجوازات سفرهم الايرانية، في تحد واستفزاز لسلطات المطارات والمنافذ الحدودية في محافظات السليمانية وواسط (الكوت) وميسان (العمارة) والبصرة، الا ان الصرع الحاقد يهجم عليهم عندما يرون شخصية عربية من العراق تزور بلدا عربيا وتستقبل بترحاب.

ان أكثر ما أرعب قادة التنظيمات الشيعية والكردية من زيارة الشيخ الضاري الى السعودية، انها تأتي من زعيم وطني وعروبي عراقي الى بلد عربي، وهم الذين بذلوا جهوداً لم تنقطع لعزل العراق عن محيطه العربي وفصله عن الأمة العربية التي كان العراق قديماً وحديثاً جزءا لا يتجزأ عنها، خصوصاً وانها جاءت علنية وتحت الاضواء، وليست سرية كتلك الزيارة التي سبقتها وقام بها اثنان، أحدهما كردي يشغل منصباً حكومياً عالياً ومسؤولاً في حزب طالباني، والثاني سني منح وظيفة (استشارية) صورية وفشلت فشلاً ذريعاً، لأن المسؤولين السعوديين اكتشفوا ان اغراضها كانت ابتزازية وانتفاعية.

وفي المعلومات ان عضو الوفد الحكومي السري المستشار اياه حاول خلال اجتماعه مع وزير سعودي بارز، وبطريقة مبتذلة تحذيره من مخاطر تقديم الدعم الى السنة العرب في العراق، لأن هذا الدعم كما في المخيلة المريضة للمستشار الذي لا يستشار، يستفز الشيعة في الجنوب ويدفعهم الى اعلان دولتهم التي ستكون خطراً على السعودية وبلدان الخليج. ولما رد الوزير السعودي بغضب قائلاً: ولكننا لا ندعم السنة العرب ولم نقدم لهم اي شكل من اشكال العون على الاطلاق، وتتحداكم ان تظهروا دليلاً واحداً يثبت ادعاءاتكم، قال المستشار بعد ان تبادل النظرات مع زميله الكردي، ولكن هناك اعترافات لمتهمين قبضنا عليهم في بغداد والمحافظات السنية يقبعون في السجون حالياً تشير الى انهم تلقوا مساعدات واموالا منكم، وهنا ضحك الوزير السعودي وقال موجهاً كلامه الى الاثنين معاً، انا اطالبكما بالدليل الملموس لا تتحدثا عن اعترافات متهمين مجهولين بالنسبة لنا، منهياً الاجتماع بطريقة أشعرهما بانهما أفاقان وملفقان.

ولان الشيخ حارث رمز من رموز السنة العرب، له موقف مبدئي ثابت في مقاومة الاحتلال ورفض مشاريع الأقلمة والفدرلة، فان الهجمة الشعوبية والصفوية عليه اشتدت خلال وعقب زيارته للسعودية، وجانب من الهجمة موجه بالطبع الى السعودية كبلد عربي ليس الا، رغم انها مثل الدول العربية الأخرى وقفت تتفرج على ما لحق بعرب العراق وخصوصا السنة، من تقتيل وتنكيل ودمار وانتهاكات، وما تزال قوات الاحتلال والميليشيات الطائفية والعرقية المتعاونة معها تمارس عليهم القتل اليومي بلا انقطاع، لانهم مقاومون يدافعون عن وطنهم ويرفضون تحكم الغزاة والوافدين به.

ومما أثار قلق الجماعات الطائفية المعادية لعروبة العراق ان السفير الامريكي زلماي خليل زاد اطلق تصريحاً عقب اختتام زيارة الشيخ حارث للسعودية جاء فيه ان بلاده طلبت من عدة دول عربية، سمى السعودية والامارات والاردن، مساعدتها في تشجيع قيادات وشخصيات السنة العرب على نبذ المقاومة والانضمام الى ما يسمى بالعملية السياسية، وان هذه الدول على حد قول السفير وعدت ببذل مساعيها بهذا الشأن، رغم ان زلماي والمتعاونين معه على علم ودراية بان المقاومة السنية مستقلة في نهجها وفعالياتها الوطنية، وليس لأحد سواء كان دولة عربية او اجنبية، فضل عليها، فقد شقت طريقها بالكفاح والجهاد والتضحيات معتمدة على بسالة عناصرها، ونخوة أهلها واحتضانهم لها، وثمة حكايات سيأتي آوان نشرها واذاعتها مستقبلاً، تبين شهامة النشامى من العراقيين الذين يبذلون ويضحون من أجل عراق حر وسيد ومستقل.

ومن المضحك بهذا الصدد ان يطلع السيناتور الديمقراطي جو بايدن بتصريحات في قناة (سي بي اس) الامريكية يدعو فيها الرئيس بوش بالضغط على حكومة المالكي لمنح السنة العرب في العراق نصيباً من الثروة النفطية وتحفيزهم على وقف ما اسماه بالتمرد الواسع الذي يقومون به ضد القوات الامريكية والمتعاونين معها. وواضح ان بايدن لا يفهم في الخلفية التأريخية والثقافية والاجتماعية للسنة العرب في العراق، ولا يعرف توجهاتهم الوطنية والقومية، ولا يدرك انهم أهل وطن شادوا دولته الحديثة بالعرق والدم، وتمكنوا خلال ثمانين سنة من الجهد والعمل والنضال من تعويض قرون من التخلف واثار الاحتلالات والغزوات الاجنبية، البويهية والسلجوقية والهولاكية والصفوية والعثمانية وانتهاء بالبريطانية.

واذا كانت الثروات النفطية تهم السنة العرب، فان مناطقهم التقليدية زاخرة ليس بالنفط وانما بثروات المياه والزراعة واليورانيم والفوسفات والكبريت والذهب، ولعلم السيناتور الامريكي فان اضخم احتياطي نفطي في العراق، هو الذي يمتد من جبل مكحول في محافظة صلاح الدين مروراً بالبادية الشمالية نزولاً الى الفرات وانتهاء بالرطبة في محافظة الانبار حتى الحدود مع السعودية، كما ان حقلاً نفطياً آخر مدرجا ضمن الاحتياطي النفطي العراقي يبدأ من (العظيم) في محافظة ديالى وبمسافة ستين كيلومتراً وينتهي في النهروان في المحافظة نفسها، وسبق لكارتل من الشركات اليابانية ان عرض على النظام السابق استثمار هذا الحقل عام 1985 وبمزايا مجزية، لكن ظروف الحرب الايرانية على العراق ايامها ارجأت البحث فيه، ويمكن معرفة المزيد من هذه المعلومات بالرجوع الى مراكز دراسات النفط الدولية ومنظمتي اوابك واوبك، اما الثروات المكتشفة في مناطقهم الاخرى في كركوك والموصل وديالى وحديثة والزبير والفاو، فهي معروفة لا تحتاج الى شرح. لذا فان على المستر بايدن الا يستغل خلافاته مع الجمهوريين بشأن الحرب على العراق، ويقع في الخطأ ويردد أكاذيب بوش وتشيني ورامسفيلد وشلتهم الغبية، فمقاومة السنة العرب ضد الاحتلال والتقسيم والفيدراليات الانفصالية نابعة من ايمانهم بعراق واحد موحد، وان ثرواته النفطية وغيرها هي ملك للعراقيين الأصلاء فقط، وليس لأولئك الطارئين عليه من الغرباء والمخربين الذين سيأتيهم يوم لن يجدوا ملاذاً فيه للاستمتاع بما سرقوه ونهبوه من حلال العراقيين الذين سيطاردون اللصوص والعملاء حتى آخر الدنيا.. وان غداً لناظره قريب.

وأخيرا وليس آخرا، لن يقدر أحد سواء كان أمريكيا غازيا أو فارسيا طامعا أو صفويا حاقدا أو كرديا انفصاليا، ان يسلب من السنة العرب، وطنهم وثرواتهم وتأريخهم وتراثهم وانجازاتهم، ما دام فيهم شباب وضعوا الشهادة من أجل العراق عنوانا لهم، وما دام عندهم من الشيوخ الحكماء والرجال الاوفياء كثرة كاثرة والحمد لله.

وروح يا شيخ حارث وهوا الثورة وراك، على درب المقاومة والكفاح، وعرب العراق الاخيار والاحرار، يلتفون حولك وعلى جانبيك.

* كاتب وصحافي عراقي مقيم في لندن

سبع نصائح (فات أوانها) للمحتل للنجاة من مستنقع العراق

د. عبدالوهاب الافندي

(1)

قبل أكثر من ثلاث سنوات طلبت مني صحيفة بريطانية أن أكتب مقالاً، فسطرت كلمات قليلة حول التورط البريطاني الأمريكي في العراق تحت عنوان «سبع نصائح لتجنب الغوص في المستنقع العراقي». الصحيفة قررت ألا تنشر المقال، وسأترك للقارئ أن يقدر السبب من الملخص أدناه.

(2)

النصيحة الأولى: تأكد من حمل خريطة دقيقة والتحرك بحذر. فالعراق حقل ألغام من نقاط الانفجار المحتملة. فاذا كانت خريطتك تقول: اذا كان كردياً فهو طيب، واذا كان شيعياً فهو مثير للريبة ولكنه مأمون حالياً، أما اذا كان سنياً فهو شرير، فان عليك أن تقذف بهذه الخريطة بعيداً وتبدأ من نقطة الصفر. ذلك أن كل جماعة في العراق تعيد حساباتها يومياً في ظل المتغيرات وما تعتقد أن الآخرين يخططون له.

(3)

أظهر قدراً كبيراً من الحساسية، وان كانت هذه النصيحة تأتي متأخرة للجنود البريطانيين الذين قتلوا في المجر الكبير. ولكن السهولة التي يمكن بها تفجير الأوضاع تعني أن أي صورة أخرى لحذاء جندي أمريكي على رقبة مواطن عراقي، أو أي زيارة ليلية للتفتيش في مخادع العوائل، ستؤدي الى مفاجأة البعض بقيام الجمهورية الاسلامية في العراق قبل أن يستطيع المرء النطق بدعوة: ياالهي!

(4)

ابتسم للجيران. فحين تنتقل الى حي جديد يكثر فيه الفتوات، فانه من الحكمة ألا تتعامل بقسوة مع أهل البيت أو الجيران. ومن الحكمة أكثر اذا كنت منهمكاً في ضرب شركائك في السكن ألا تصيح في جيرانك من النافذة: الدور عليك بعد قليل أيها الوغد. واذا فعلت فلا تندهش حين ينهال الطوب على نافذتك من كل حدب وصوب.

(5)

لا تكن طموحاً أكثر من اللازم. اجعل قصارى همك تشكيل حكومة عراقية تمثل الاجماع العراقي واستعد للرحيل بسرعة. احذر من محاولة الهندسة السياسية والاجتماعية، ولا تحاول الانتقاء والعزل ولا تحلم بتغيير الأمور، والا فان العاصفة ستكتسحك قبل أن تكمل نصف المهمة. ليكن همك تشكيل حكومة تمثل واقع العراق كماهو لا كما تتمنى أن يكون.

(6)

لا تكن غبياً. واذا كان البعض يحلم بأن يكون احتلال العراق الخطوة الأولى في اعادة صياغة المنطقة في صورة أمريكا، فان عليهم أن يتذكروا بأن هذه المنطقة ظلت تتمتع بوجودها الحضاري المستقل حين كانت أمريكا صحراء جرداء، وستبقى كذلك على الأرجح بعد أن تتحول أمريكا الى صحراء من جديد. فليعرف كل حدود قدراته.

(7)

اعرف متى تطلق ساقيك للريح. لا تنتظر حتى تخسر 58 ألف جندي قبل أن تقرر الرحيل. شخصياً أعتقد أن أوان الرحيل يجب أن يحل بعد خسارة خمسة جندي. أما أي قائد يقرر البقاء بعد خسارة أكثر من ألفي جندي لا بد أن يكون به مس من الجنون.

(8)

القوم، كما قال الشاعر، لم يستبينوا النصح الا ضحى الغد. وبعضهم ما زال حتى بعد العصر في حالة من العمى. ويبدو أنه قد كتب علينا أن نقدم النصائح غير المرغوب فيها وغير المستفاد منها.

القدس العربي

يومية سياسية مستقلة

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:

الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو

هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ

فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208

مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)

مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)

مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.

هاتف/فاكس: 5066089 (9626)

مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 420 57364 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England

Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637

*email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk*

Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).

Tel/Fax: (202) 3901523

Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco

Tel/Fax: (212 37) 770594

Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.

Tel/Fax: (9626) 5066089

Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi

daily Independent News Paper

Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.

Editor In Chief

ABDEL BARRI ATWAN